مجلة تدبر

البحث الثاني :

الاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم

أ.د. إسماعيل سعيد رضوان

وزير الأوقاف الفلسطيني السابق، وأستاذ دكتور بقسم الحديث الشريف وعلومه بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية - غزة.

- **حصل على درجة الماجستير** في الحديث الشريف وعلومه من الجامعة الأردنية، بأطروحته بعنوان: «مقولات ابن خزيمة في صحيحه».
- **حصل على درجة الدكتوراه** في الحديث الشريف وعلومه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان، بأطروحته بعنوان: «عناية السنة بصحة الإنسان».

وله العديد من الكتب والأبحاث العلمية:

- **الكتب:** (طرق تخريج الحديث، منهج الحكم على الأسانيد، دراسات في الحديث النبوي، دراسات في السيرة النبوية).
- **الأبحاث، منها:** (العقل في السنة النبوية دراسة تحليلية تربوية، منهج الإمام عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي «دُحَيْم» في توثيق الرواة، هشيم بن بشير تدليسه ومروياته في صحيح البخاري، تواتر حديث: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال شهادة الزور»، حصين بن عبد الرحمن السلمي ورواياته في الصحيحين، الأحاديث المرفوعة في نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكتب الستة ومسند أحمد).

ملخص البحث

هذا البحث بعنوان «**الاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم**»، وهو أحد علوم بلاغة القرآن الكريم، ضمن القسم الإنشائي منه، في أحد أغراض الاستفهام غير الاستعلامي، وقد تمت الدراسة في إطار المنهج الوصفي التحليلي، وقد تناول البحث مقدمةً، تم خلالها استعراض أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة والغاية منها، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث: حيث كان المبحث الأول يعالج مفهوم الاستفهام الإنكاري؛ حيث تم تعريفه كمصطلح مركّب، بتناول كل مفردة على حدة، لغةً واصطلاحًا، وذِكر ما كتبه أصحاب مؤلفات علوم القرآن، وكذلك أهل اللغة العربية في هذا الموضوع الدقيق، وكذلك معرفة كيفية تناول القرآن الكريم لهذا الموضوع الدقيق؛ حيث تبيَّن أن الأمثلة التطبيقية للاستفهام الإنكاري في القرآن الكريم، تجاوزت المائة وخمسين موضعًا، كما تناول المبحث الثاني أمثلة على الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكفر، من الأمم الغابرة، ومشركي العرب، وأهل الكتاب والمنافقين، وأما المبحث الثالث، فقد ذكر أمثلة على الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الإيمان، من الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين.

وقد بيَّنت الخاتمة سبع نتائج، وثلاث توصيات، وقد تم الرجوع إلى واحد وسبعين مرجعًا.

الكلمات المفتاحية:

الاستفهام _ الإنكار _ القرآن _ النفي _ التوبيخ _ التعجب

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبده ورسوله، وبعد:

فمعلوم أن القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة، ومصدر عزتها؛ لما تشتمل عليه آياته وسوره من هداية للناس، وإعجازهم كافة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم، وإشارات هداياته، لكن الوجه الأبرز الذي لا يتقدم عليه وجه معجز دالٌّ على أن القرآن الكريم من عند الله، إنما هو الوجه البلاغي، المتمثل في البيان والبديع والمعاني[(١)]؛ ومن تفرُّعات علوم المعاني الأسلوب الإنشائي، الذي ينقسم إلى: إنشاء طلبي، وآخر غير طلبي، ومن الأساليب الإنشائية الطلبية الاستفهام الذي تتعدد معانيه وأغراضه ودلالاته، ومنها الإنكار[(٢)].

ويركز هذا البحث على الاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم؛ لما يترتب على معرفة هذا الموضوع المراد البحث فيه من كثير من الأحكام والعبر

(١) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني (ص١٠).

(٢) هذه خلاصة قراءة كتاب: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب.

والعظات التي يثيرها تفرعات هذا الموضوع.

والله أسأل أن يوفقني إلى عمل هذا البحث القرآني، وأن يقدِّرني لاستخراج اللآلئ المرجو إخراجها من هذا البحث، إنه وليُّ ذلك ومولاه.

❁ أولًا: أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

١) هذا الموضوع له الأهمية الكبيرة في بيان أعظم وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز البلاغي؛ حيث يركز على أبرز تفرعات الجمل الإنشائية الطلبية – وهو الاستفهام – التي تهدف إلى ترسيخ مفاهيم الهداية.

٢) البحث في هذا الموضوع يثري المعنى التفسيري للقرآن الكريم، لا سيما في الجانب اللغوي.

٣) البحث في هذا الموضوع فيه تعمق في تدبر القرآن الكريم وآياته.

❁ ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١) نيل رضا الله تعالى، من خلال التدبر في أحد موضوعات علم المعاني التي ذكرها القرآن الكريم، وهو الاستفهام الإنكاري.

٢) مثّلت أهمية الموضوع سببًا من أسباب اختياره.

٣) رغبة الباحث في الاستفادة الشخصية، ومن ثَمَّ الإفادة لأمة الإسلام بخلاصة هذا الموضوع الدقيق الذي يعمق الهداية لدى المسلم.

٤) تهيئة جميع أدوات البحث لهذا الجهد البحثي.

❁ ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها:

للدراسة أهداف وغايات، أذكر منها:

١) بيان حدِّ الاستفهام الإنكاري؛ ليكون جامعًا مانعًا.

٢) ذكر خلاصة استعمالات القرآن الكريم لهذا الموضوع، واللطائف المستفادة.

٣) ذكر أنواع المخاطبين في جمل الاستفهام الإنكاري، ومن ثَمَّ معرفة الأحكام المترتبة على ذلك.

❁ رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة وجد الباحث أن كثيرًا من الأبحاث والدراسات العلمية والكتب القيِّمة والمقالات قد تناولت هذا الموضوع، سواء أكان ذلك بطريق التعرض المباشر له، أم بالتعرض له في ثنايا الدراسة، لكنني لم أعثر على بحث علميٍّ محكّم يعالج هذا الموضوع، من خلال التفصيل الدقيق لجميع ما ذكر في القرآن الكريم في الاستفهام الإنكاري، وبيان أحوال المخاطبين في الجمل الاستفهامية الإنكارية؛ لذا يركز هذا البحث على ما لم يتم استدراكه – فيما وقفنا عليه – في الأبحاث والدراسات السابقة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

❁ خامسًا: منهج الباحث:

المنهج في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف موضوع الاستفهام الإنكاري، كما ذُكِر في المصادر الأصلية المعتمدة، مع ذكر بعض النماذج له في القرآن الكريم، وتحليلها التزامًا ببيان أحوال المخاطبين في الجمل القرآنية التي تناولت ذكر الاستفهام الإنكاري والأحكام المترتبة على ذلك.

سادسًا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته مشتملة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

المقدمة

وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة والغاية منها، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

المبحث الأول

مفهوم الاستفهام الإنكاري

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف الاستفهام الإنكاري لغةً، واصطلاحًا.
- **المطلب الثاني:** الاستفهام الإنكاري في كتب علوم القرآن واللغة العربية.
- **المطلب الثالث:** الاستفهام الإنكاري في الاستعمال القرآني.

المبحث الثاني

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكفر

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الكفار من الأمم الغابرة.
- **المطلب الثاني:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة مشركي العرب.
- **المطلب الثالث:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكتاب.
- **المطلب الرابع:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المنافقين.

المبحث الثالث

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الإيمان

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الملائكة.
- **المطلب الثاني:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الأنبياء.
- **المطلب الثالث:** الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المؤمنين.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم الاستفهام الإنكاري

يركز هذا المبحث على ذكر التعريف الدقيق للاستفهام الإنكاري، وكذلك التعرف إلى ما ذكره أهل اللغة العربية، وأهل علوم القرآن، فيما يتعلق بالاستفهام الإنكاري، ويركز هذا المبحث - أيضًا - على بيان طريقة استعمال الخطاب القرآني لهذا الموضوع.

وقد مثَّل هذا المبحث توضيحًا عمليًّا لذلك، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

تعريف الاستفهام الإنكاري لغةً واصطلاحًا

يستفاد التعريف الاصطلاحي للاستفهام الإنكاري من الأصل اللغوي والمعاني اللغوية والاصطلاحية لمفردات هذا المصطلح المركَّب، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: تعريف الاستفهام:

- **الاستفهام لغةً:**

الفاء والهاء والميم أصلٌ يدلُّ على العلم بالشيء[(١)]، **واستفهم:** طلب علم الشيء[(٢)]، **واستفهمه:** سأله أن يفهِّمه، أي: يعلِّمه[(٣)]، **ويتبين مما سبق أن الاستفهام في اللغة يعني:** سؤال آخر طلب العلم بشيءٍ معين، وهذا يحمل معنى التصور للشيء، وليس الاكتفاء بعلمه من مصدرٍ.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٤٥٧) مادة (ف هـ م)، المصباح المنير، الفيومي (٢/ ٤٨٢) مادة (ف هـ م).

(٢) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص١١٤٦) مادة (فهم).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١٢/ ٤٥٩) مادة (فهم).

❁ الاستفهام اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الاستفهام اصطلاحًا عند أهل العربية والاختصاص، وتفصيل ذلك في ذكر بعض منها فيما يأتي:

* **تعريف الجرجاني وكذا المناوي والجرجاني بأنه:** طلب فهم الشيء، واستعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن [أي: بأدوات مخصوصة]؛ فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين [مطابقة للواقع] أو لا وقوعها [غير مطابقة للواقع]؛ فحصولها هو التصديق [إدراك مطابقة النسبة الكلامية للواقع أو عدم مطابقتها له]، وإلا فهو التصور [إدراك الموضوع، أو المحمول، أو النسبة المجردة، أو اثنين من هذه الثلاثة، أو الثلاثة][(١)].

* **تعريف ابن القاضي التهانوي بأنه:** «عند أهل العربية من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء، وهو كلام يدل على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب»، وشرح ذلك بقوله: «فلا يصدق على افهم؛ فإن المطلوب ليس فهم ما اتصلت به؛ لأن أداة الطلب صيغة الأمر، وقد اتصلت بالفهم، وليس المطلوب به طلب فهم الفهم»[(٢)].

* **تعريف السيوطي بأنه:** طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار، وذكر قولًا لابن فارس بأن الاستخبار ما سبق أولًا، ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا[(٣)]، وقد ذكر الكفوي أن كل استفهام استخبارٌ وليس

---

(١) ينظر: التعريفات، الجرجاني (ص١٨)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص٤٩)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري (١/ ٧٢)، الإيضاح في علوم البلاغة، خطيب دمشق، حاشية المحقق محمد خفاجي (٣/ ٥٥).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ١٤٨).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٦٧).

العكس، وأن كل استعلام استفهامٌ وليس العكس؛ لأن الاستعلام طلب العلم، وهو أخصّ من الاستفهام، وليس كل ما يُفهَم يُعْلَم، بل قد يظن ويخمن كل استفهام دخل في الجحود[١]، وقد ذكر السيوطي تضعيف هذه المعلومة، حينما رواها بصيغة التضعيف عن ابن فارس[٢].

وبالنظر إلى التعريف اللغوي وبالتمحيص فيما يخدم الدراسة التي نحن بصددها، يتبين أن التعريف الاصطلاحي الأدقَّ للاستفهام، هو تعريف ابن القاضي التهانوي؛ فهو جامع مانع.

❁ ثانيًا: تعريف الإنكار:

■ الإنكار لغةً:

«النُّون والكاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلافِ المعرفةِ التي يسكنُ إليها القلبُ»[٣]، والنَّكْر (بفتح الكاف وسكونها): الدهاء والفطنة، والنَّكْرة: إنكارك الشيء، وهو خلاف المعرفة، والنَّكِرَة: مَا يخرُجُ من الحُوَلاءِ والخُراجِ من دمٍ أَو قَيْحٍ، كالصَّديد، وأنكره إنكارًا، واستنكره وتناكره: إذا جهله[٤]، والإنكار: الاستفهام عما ينكره، وذلك إذا أنكرت أن تثبت رأي السائل على ما ذكر، أو تنكر أن يكون رأيه على خلاف ما ذكر[٥]، والنُّكْر والمنكر: خلاف المعروف[٦].

ويتبين مما سبق أن الإنكار يطلق على معانٍ في اللغة، منها: الدهاء والفطنة،

(١) ينظر: الكليات (ص٨٣).
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٦٧).
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٤٧٦) مادة (ن ك ر).
(٤) ينظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (١٤/ ٢٨٧ - ٢٨٩).
(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٦/ ٨٠٤).
(٦) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي (٢/ ١٢).

وخلاف المعرفة الذي هو الجهل، والاستفهام عمَّا هو منكَر، وخلاف المعروف، ولعلَّ أكثر المعاني اللغوية المترتبة على الأصل اللغوي ملامسة لهذه الدراسة، هو الاستفهام عمَّا هو خلاف المعرفة الساكنة في القلب؛ إذ إنَّ الإنكار يلامس مخاطبة القلب والوجدان أكثر من مخاطبة المعرفة الظاهرة، فضلًا على أن خلاف المعرفة الساكنة في القلب تكون نتيجة لما قبَّحه الشرع الحنيف، مما يؤثر في نسبة الإيمان الذي يبدأ من التصديق بالقلب.

■ **الإنكار اصطلاحًا:**

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح الإنكار، وبيان ذلك فيما يأتي:

* **تعريف الفقهاء بأنه:** «ضد الإقرار»[(١)].
* **تعريف المناوي بأنه:** «ضد العرفان، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل، وربما ينكر الإنسان الشيء مع حصول صورته في القلب فيكون كاذبًا»[(٢)].
* **تعريف الكفوي بأنه:** «ما ظهر امْتِنَاعه بِحَسب النَّوْع أَو الشَّخْص أَو بحث عَمَّا يدل عَلَيْهِ أَقْصَى مَا يُمكن فَلم يُوجد، وإذا كان الإنكار من الله فإنه يعني لا ينبغي أن يعقل، أو بمعنى لا يمكن»[(٣)].
* **تعريف ابن القاضي التهانوي بأنه:** «هو الكلام الملقى مع المنكر للحكم»[(٤)].

---

(١) التعريفات الفقهية، محمد البركتي (ص٣٧)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري (١/ ١٣٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص٦٥).

(٣) ينظر: الكليات (ص٢٠٠).

(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٢٨٦).

وبالنظر إلى التعريف اللغوي وبالتمحيص فيما يخدم الدراسة التي نحن بصددها، يتبين أن التعريف الاصطلاحي الأدقُّ للإنكار هو تعريف المناوي؛ فهو جامع مانع.

❁ ثالثًا: مصطلح الاستفهام الإنكاري:

بالنظر إلى التعريف الاصطلاحي لكل مفردة من مفردات هذا المصطلح المركب، يتبين أن الاستفهام الإنكاري هو: نوع متفرع من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء الذي هو أحد أنواع علم المعاني، وهو كلام يدل على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب، بغرض الرد على القلب، ولا يتصوره، وربما ينفى هذا الطلب مع حصول صورته؛ لإفادة التكذيب.

المطلب الثاني

الاستفهام الإنكاري في كتب علوم القرآن واللغة العربية

إن الناظر في كتب علوم القرآن يجد أن المتقدمين هم الذين ذكروا جميع العلوم التي تتعلق بكتاب الله تعالى، مما وُجِد في زمانهم؛ ولذا فإنهم قد ذكروا الاستفهام الإنكاري ضمن علم الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم، وأما المتأخرون؛ فإنهم قد ذكروا مباحث محدودة من علوم القرآن، ومن ثَمَّ فقد أغفلوا كثيرًا من العلوم التي تتعلق ببلاغة القرآن. ويرى المتتبع لموضوع الاستفهام الإنكاري أن المعاصرين ممن كتب في اللغة العربية هم من ذكروا الاستفهام الإنكاري، من خلال ذكر شواهد في هذا الفن من الآيات القرآنية، **وتفصيل ذلك فيما يأتي:**

أولًا: الاستفهام الإنكاري في كتب علوم القرآن المتقدمة:

لعل أبرز كتب علوم القرآن المتقدمة موجودة في كتابي: «البرهان في علوم القرآن» للإمام الزركشي (٧٩٤هـ)، و«الإتقان في علوم القرآن» للإمام السيوطي (٩١١هـ) - رغم العلم بكثير من الكتب التي اعتمد عليها هذان العالمان في كتابيهما، ككتاب الحوفي وكتاب البلقيني، وغيرهما - وقد تفحصت هذين الكتابين، **فوجدت الآتي:**

١) ذكر الإمام الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاستفهام الإنكاري ضمن حديثه عن النوع الخامس والأربعين، في أقسام معنى الكلام، عن الخبر والإنشاء، وذكر من الإنشاء الاستفهام الذي قد يخرج عن حقيقته الإنشائية، إلى ما هو بمعنى خبر، وهو بذلك ضربان: أحدهما نفي، ويقصد بذلك الإنكار، والآخر إثبات وهو التقرير[(١)].

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٨).

٢) ذكره الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاستفهام الإنكاري في النوع السابع والخمسين من أنواع علوم القرآن، ضمن حديثه عن الخبر والإنشاء؛ حيث ذكر أن من أقسام الإنشاء الاستفهام، وذكر له أغراضًا، وبيَّن أن أول هذه الأغراض هو الإنكار، وبيَّن من أغراض الاستفهام الإنكاري: كالنفي، والتكذيب، والتوبيخ ...[١].

❁ ثانيًا: الاستفهام الإنكاري في كتب اللغة العربية:

إن أهل اللغة من السابقين قد ذكروا الاستفهام الإنكاري في معرض ذكر الشواهد البلاغية في أغراض الاستفهام، وبالتحديد عند التعرض للنصوص، وأعظمها القرآن الكريم؛ حيث ذكر المفسرون – لا سيما من تعرَّض إلى الأسرار البلاغية – كثيرًا من أغراض الاستفهام، ومن أبرز هذه الأغراض الاستفهامُ الإنكاريُّ، وقد ذكر أهل اللغة المعاصرون الاستفهامَ الإنكاريَّ، وبيان ذلك في النماذج الآتية:

١) ذكره الأستاذ عبد العزيز عتيق في كتابه «علم المعاني»، في الفصل الثالث، تحت عنوان «علم المعاني وأثره في بلاغة الكلام»[٢]، وبيَّن في المبحث الأول الكلام في الإنشاء، وبيَّن أن من أقسام الإنشاء الاستفهام، وأن أقسام الاستفهام تسعة عشر قسمًا، وذكر الإنكار في القسم التاسع، ويلاحظ أن شواهده منها ما هو تمثيل من تلقاء نفسه، ومنها ما هو استشهاده بالآيات القرآنية.

٢) ذكره الدكتوران محمد أحمد قاسم ومحيي الدين ديب في كتابهما علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، في قسم علم المعاني، في الباب الثاني: الإنشاء وأقسامه، في قسم الإنشاء الطلبي، الذي قسَّماه إلى خمسة أقسام، وكان الاستفهام

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٦٨).

(٢) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ص١٠٢).

هو القسم الثالث، وذكرا معاني مستفادة منها، وبيَّنا أنها تصل إلى خمسة عشر معنىً، وكان الإنكار هو المعنى الرابع، وقد لوحظ أنهما كانا يذكران الشواهد من تلقاء نفسيهما تارةً، ومن القرآن الكريم تارة أخرى[١].

٣) ذكره العلّامة أحمد المراغي في كتابه علوم البلاغة «البيان والمعاني والبديع»، في حديثه عن علم المعاني، في الباب الثاني: الإنشاء، في المبحث الثالث: الاستفهام، في تنبيه: قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به؛ لأغراض تستفاد من سياق الحديث، ودلالة الكلام، وذكر من ذلك الإنكارَ، وأن له أغراضًا أهمها التوبيخ والتكذيب...[٢].

٤) ذكره الأستاذ عبد الرحمن الدمشقي في كتابه «البلاغة العربية»، في علم المعاني، في الباب الأول، في الفصل الرابع، بعنوان: «الجملة الإنشائية وأقسامها»؛ حيث تكلم عن الاستفهام، وبيَّن أن البلاغيين أحصوا معاني كثيرة خرج إليه الاستفهام عن حقيقته، وذكر من ذلك اثنين وثلاثين معنىً، وكان الإنكار أول هذه المعاني[٣].

٥) جاء في كتاب «البلاغة في علم المعاني» [ضمن الكتب المنهجية في جامعة المدينة العالمية]، في الدرس السادس عشر، في تكملة الأساليب الإنشائية، أن الاستفهام قد يأتي ويراد به معنى الإنكار، وقد يكون هذا الإنكار توبيخيًّا أو تكذيبيًّا...[٤].

(١) ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، محمد أحمد قاسم ومحيي الدين ديب (ص٢٩٧).
(٢) انظر: علوم البلاغة «البيان والمعاني والبديع»، أحمد المراغي (ص٦٩).
(٣) انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي (١/ ٢٧٠).
(٤) انظر: البلاغة في علم المعاني، جامعة المدينة العالمية (ص٣٨٩).

المطلب الثالث

الاستفهام الإنكاري في الاستعمال القرآني

تبيّن من خلال الإحصاء في آيات القرآن الكريم أن الاستفهام الإنكاري ورد فيما يقرب من مائة وخمسين موضعًا، في مائة وخمسين آيةً، في سبعٍ وثلاثين سورةً، تسعٌ وعشرون منها مكيٌّ، وثمانٍ منها مدنيٌّ.

وقد ورد الاستفهام الإنكاري في القرآن الكريم، من خلال الأدوات الاستفهامية الآتية:

* **أولًا: حرف الهمزة، وهذه الأداة هي الأكثر ذكرًا في الخطاب القرآني،** مما تناول الاستفهام الإنكاري، **ومن أمثلة ذلك:**

١) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، فإن همزة الاستفهام ذكرت هنا على سبيل الإنكار الاستبعادي[(١)]؛ حيث يستبعد هذا الطلب من كل ذي عقل.

٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧]، وقوله ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فيه إنكار[(٢)] للتكذيب والنفي.

٣) قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، فإنه في هذا الاستفهام ضربٌ من الإنكار على رغبة المؤمنين في إيمان من هم

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/ ٣٧٤)، حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/ ٤٠٤).

شواهد اقتناعهم قائمة، ولكنهم يستبعد إيمانهم[١]، وكأنهم أيأسهم الله تعالى من إيمان هذه الفرقة من اليهود[٢]، وذكر بعضهم أن هذا الخطاب على أمرٍ فيه بُعْدٌ؛ إذ قد سلف لأسلاف هؤلاء اليهود وأفاعيل سوءٍ، وهؤلاء على ذلك السَّنَن[٣].

٤) قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ [النازعات: ١١]، ففي هذا الاستفهام إنكار أو توكيد لإنكار الرد، ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له؛ حيث ظنوا أنه من فساد البدن، وتفرق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقةً[٤].

*** ثانيًا: الاسم كيف، وقد ورد في أكثر من موضع، ومن ذلك:**

١) قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]، فقد ذكر بعضهم أن هذا الاستفهام إنكاريٌّ[٥]، وذكر بعضهم أن الاستفهام للتعجب أو التقرير أو التوبيخ[٦]، وذكر آخرون أنه للتبكيت والتعنيف[٧]، ولا شكَّ أن السياق القرآني حمَّال لكل هذه الأغراض.

٢) قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٦]،

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه (١/ ٣٤٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ١).

(٣) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي (١/ ٢٦٦).

(٤) انظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٣١/ ٧٥)، فتح البيان، القنوجي (١٥/ ٥٨).

(٥) انظر: التفسير المظهري، المظهري (١/ ٤٣).

(٦) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (١/ ٤٨)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٤٨).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢/ ٣٧٥).

فهذا الاستفهام إنكاريٌّ استبعادي، على سبيل التوبيخ والتقريع[1].

٣) قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، فهذا الاستفهام للتعجب[2]، والمراد منه المنع والتغليظ، أو الإنكار والاستبعاد، ومعناه: من أين يأتيكم ذلك ولديكم ما يمنع منه ويقطع إرادته؟ والسياق القرآني حمَّال للغرضين[3].

*** ثالثًا: الأداة لِمَ، وقد وردت في مواضع، منها:**

١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١]، فهذا الاستفهام إنكاري غرضه التكذيب والتوبيخ[4].

٢) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]، فهذا الاستفهام إنكار وتوبيخ[5].

*** رابعًا: الاسم مَنْ، وقد ذُكِر في القرآن الكريم في مواضع:** منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) انظر: الفواتح الإلهية، الشيخ علوان (١/ ١١٧)، التفسير المظهري، المظهري (٢/ ٨٤).

(٢) انظر: التفسير المظهري، المظهري (٢/ ١٠٣)، فتح البيان، القنوجي (٢/ ٢٩٩)، البحر المديد، ابن عجيبة (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: التفسير المظهري، المظهري (٢/ ١٠٣)، فتح البيان، القنوجي (٢/ ٢٩٩)، البحر المديد، ابن عجيبة (١/ ٣٨٧).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٣٠).

(٥) انظر: فتح البيان، القنوجي (٨/ ١٦٤).

﴿ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢]، فهذا الاستفهام إنكاري توبيخي؛ فلا يحتاج إلى جواب؛ لأنه لا يراد به استعلام(١).

* **خامسًا: الاسم ما، وقد ورد في مواضع:** منها قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾ [القلم: ٣٦]، فهو استفهام إنكاري، بمعنى: الإنكار أن يكون له وجه مقبول يعتدُّ به؛ حتى يتمسك به(٢).

* **سادسًا: الاسم أنَّى، وقد ورد في مواضع:** منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، أي: كيف يملكنا؟ ونحن أحق بالملك منه؟ ومن أيِّ جهة؟، وهي للإنكار(٣).

* **سابعًا: الحرف أيُّ، وقد ورد في مواضع:** منها قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ [الرحمن: ١٦]، «والاستفهام؛ لتقرير الآلاء، وإنكار تكذيبهما؛ فإن ذكر الآلاء سبب لإقرارها وشكر منعها، والرد عن تكذيبها، وكذا الوعيد على الكفران والوعد سببان للإقرار والشكر»(٤).

وقد اختلف المخاطبون بالاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم في العهدين المكي والمدني؛ حيث غلب على الاستفهام الإنكاري في العهد المكي ما يأتي:

* **أولًا: خطاب أهل قريش بالأدلة الحسيّة؛ لتنتبه عقولهم وحواسُّهم؛ لتوحيد الله،** ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (٩/ ٩٠).

(٢) انظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٣٠/ ١٠٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٢٤٦).

(٤) التفسير المظهري، المظهري (٩/ ١٤٨).

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص: ٧١]، أي: أخبروني يا أهل مكة إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ دائمًا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا تطلع عليكم الشمس مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ تطلبون فيه المعيشة، و«مَنْ» للاستفهام الإنكاري، والمعنى: لا إله غير الله يأتيكم به[(١)].

* **ثانيًا: ذكر قصص الأمم السابقة؛ فتارةً بالإنكار للمكذبين**، من خلال استخدام الاستفهام الإنكاري، كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١١١]، و«الاستفهام: للإنكار، أي: كيف نتبعك ونؤمن لك، والحال أن قد اتبعك الأرذلون»[(٢)]، وتارةً بإنكار الأنبياء والمرسلين لأقوامهم، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل: ٣٦]، وهو إنكارٌ لإمدادِهم لنبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمالِ مع علو شأنِه وسعَة سُلطانِه، وتوبيخٌ لهم بذلك[(٣)].

* **ثالثًا: ذكر الاستفهام الإنكاري من قِبَل كفار قريش**، فيما يتعلق بالمفاضلة بين دين الإسلام ودين آبائهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزُّخرُف: ٥٨]، حيث إنهم سألوا عن الأفضل: هل دين آبائهم أم دين الإسلام؟ ولا شكَّ أنهم لم يسألوا هذا السؤال لأجل المعرفة، وإنما لأجل الإنكار الذي يكون غرضه في هذه الآية النفي والاستبعاد.

* **رابعًا: مخاطبة الله تعالى لكفار قريش مباشرةً، بالاستفهام الإنكاري**، كقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القمر: ٤٣]، حيث خوَّف الله

---

(١) انظر: التفسير المظهري، المظهري (٧/ ١٧٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ١٢٦).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/ ٢٨٥).

تعالى كفار قريش، فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾، والاستفهام للإنكار[1].

* **خامسًا: ذكر الاستفهام الإنكاري من قِبَل الله تعالى عن الكفار**، كقوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الصافات: ١٧٦]، أي: بعد هذا التكرير ينكرون وقوع عذاب الله تعالى؛ فيستعجلون به متبجحين بهذا الطلب؟[2]

* **سادسًا: مخاطبة الصالحين لأقوامهم بالاستفهام الإنكاري**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، أي: أتقصدون قتله ظلمًا بلا دليل؟[3]

* **سابعًا: مخاطبة الله تعالى لنبيه محمد** ﷺ أن يسأل الكافرين سؤالًا غرضه الإنكار، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٤]، أي: «أفغير الله أعبد بأمركم؟ وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك»[4].

❁ أما الاستفهام الإنكاري في العهد المدني فقد غلب عليه ما يأتي:

* **أولًا: مخاطبة أهل الكتاب والمنافقين بالاستفهام الإنكاري**، ومن المعلوم أن الخطاب لهذين الصنفين يكون فيه الاستفهام الإنكاري للتوبيخ والتقريع، وكذلك للتكذيب.

* **ثانيًا: الخطاب المدني بيَّن أن الاستفهام الإنكاري** ذكر في مقام خطاب المؤمنين، بما يتعلق بهذه الأصناف المذكورة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٥/ ١٥٤).

(٢) انظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٢٤/ ٢٩٠).

(٣) انظر: حدائق الروح والريحان (٢٥/ ١٦٩).

(٤) الكشاف، الزمخشري (٤/ ١٤١).

أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

* **ثالثًا: الخطاب المدني بيَّن أن الاستفهام الإنكاري** ذكر في حق الصحابة الكرام في غزوة أحد، ولكن بغرض النفي والتعجب من الحالة التي هم عليها حالة سماعهم خبر مقتل نبي الرحمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وبعد انتهاء المعركة ذكر في القرآن الكريم استفهامًا إنكاريًّا غرضه التعجب والتقرير، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

* **رابعًا: الخطاب الإنكاري بيَّن أن الاستفهام الإنكاري** ذكر في الرد على كفار قريش، حينما بيَّنوا أن سبب عبادتهم للأصنام اتباع الآباء، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

* **وخلاصة ما سبق أن الاستفهام الإنكاري ذكر في العهدين: المكي، والمدني،** غير أن لكل عهدٍ ميزاته الخاصة به: من جهة المخاطبين، ومن جهة أغراض الاستفهام الإنكاري، ومن جهة طبيعة المعالجة.

المبحث الثاني

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكفر

يركز هذا المبحث على بيان مخاطبة أهل الكفر بأدوات الاستفهام الإنكاري، من خلال مخاطبة الكفار، سواء أكانوا من الأمم الغابرة، أو من مشركي العرب، أو من أهل الكتاب، أو من المنافقين.

وقد مثَّل هذا المبحث توضيحًا عمليًّا لذلك، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الكفار من الأمم الغابرة

يركز هذا المطلب على بيان أثر الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الكفار من الأمم التي كانت في عهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلى ما قبل بعثة النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث يتعرض هذا المطلب إلى مسألة استخدام الاستفهام الإنكاري، في الخطاب المباشر من قبل الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، أو من قبل الكفار من قومهم، أو من قبل المصلحين من الأقوام التي كذَّبت أنبياءها، وتوضيح ذلك فيما يأتي:

* **أولًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث ورد في ذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١١٣]، حيث إن نبي الله نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كذَّبه قومه، فكان تكذيبهم له بمثابة تكذيب رسالة الله تعالى،

ومن ثَمَّ رسل الله تعالى، فقال لهم بأداة الاستفهام الإنكاري: ألا تتقوا الله وتخافوا غضبه؟ فإني أمين فيما بينكم وبين الله تعالى، وقد ذكر بعض المفسرين أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسمى «الأمين» قبل بعثته، وهكذا جميع الأنبياء، لا سيما خيرهم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث كان يسمى - قبل بعثته - «الصادق الأمين»[(١)]، وبعد أن أقام الدليل على صدق رسالته، وعظيم نصحه، وأمانته لهم عجزوا عن الرد عليه، فتذرَّعوا بحجةٍ واهية، لا تخرج إلا من ضعيف الحجة والبيان والعقيدة، فقالوا له باستفهام إنكاري: كيف نؤمن لك ونصدقك والحال أنه قد اتبعك الأقلون مالًا وجاهًا، من فقراء الناس وضعفائهم؟[(٢)] وغرض الاستفهام الإنكاري هنا هو النفي للمستقبل، بمعنى لا يكون، وإن سر الجمال البلاغي بمجيء الاستفهام الإنكاري بدل النفي المباشر هو أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسئول يجيب بعد تفكير ورويَّةٍ عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حمل له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداءً[(٣)]؛ إذ إنَّ هذا يتناسب مع طبيعة ردِّهم الذي ينمُّ عن عجز، رغم الافتراء المبيَّت من قِبَلِهم.

*** ثانيًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله هود** عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ورد ذلك في أكثر من ستة مواضع: ثلاثةٌ منها باستفهام إنكاريٍّ من قبل نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه الذين كفروا؛ حيث تدرَّج معهم بأساليب دعوية، وتوضيح ذلك: أن الله تعالى بيَّن

(١) ينظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الصوم، بسم الله الرحمن الرحيم أول مناسك الحج (١/ ٦٢٨) حديث رقم (١٦٨٣)، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطه»، وانظر: أخبار مكة، الأزرقي (١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٨/ ٥٣٢٨)، حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٢٠/ ٢٥٧).

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدوي (ص١٢٦).

أنَّ خطاب هذا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه كان ابتداءً بتحذيرهم مما هم عليه من التكذيب والكفر بآيات الله تعالى، فقال لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، حيث استفهم هذا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه الكافرين استفهامًا إنكاريًّا غرضه الاستبعاد والتقريع والتوبيخ لحالتهم التي هم عليها، وداعيًّا إياهم أن يحذروا عقاب الله تعالى، بما يشعر شدة خوف هذا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه، وشفقته بهم؛ حتى لا يصيروا إلى غضب الله تعالى(١)، وصحب لهم كثيرًا من آيات الله تعالى الكونية، وأخبار الأمم الغابرة، لا سيما قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد كان هذا باستفهام إنكاري توبيخي آخر، من خلال قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: ٦٩](٢)، وكان ردُّ قومه أن جادلوه في حجج واهية، فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، فإن هذا الاستفهام فيه إنكار واستبعادٌ لاختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء، الذي يتمثل في عبادة الأصنام، واتخاذهم شركاء مع الله تعالى في العبادة؛ لأنهم أحبوا ما نشأوا عليه، وألفوا تديُّن هؤلاء الآباء، فعندها تبجحوا مع نبيهم، وقالوا له: إن كنت من الصادقين في الإنذار من وعيد إلهك - الذي هو الله تعالى - فعجِّل لنا به(٣)، فعندها غضب نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ من قولهم، وخاطبهم مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا، بقوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٧١]، حيث إنَّ «هذا إنكار منه لمخاصمتهم له فيما لا ينبغي فيه الخصام، وهو ذكر ألفاظ ليس تحتها

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٩/ ٣٨٩).
(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه (٩/ ٣٩٢).
(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ١١٧).

مدلول يستحق العبادة؛ فصارت المنازعة باطلة بذلك، ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: سميتم بها أنتم وآباؤكم، أي: أحدثتموها قريبًا أنتم وآباؤكم»[(١)].

وقد ورد في سورة أخرى أنه أنكر عليهم بأداة الاستفهام؛ لغرض النفي والتوبيخ[(٢)]، وذلك بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨]، كما ورد في سورة أخرى أن قوم هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكروا عليه بالنفي غير المباشر للاستبعاد والاستهزاء[(٣)]، وذلك بقولهم عن وعده عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون: ٣٥].

*** ثالثًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله صالح** عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ورد ذلك في أكثر من أربعة مواضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك آيةٌ تتحدث عن استفهام إنكاريٍّ من قبل نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٦]، حيث إن الأخوة المذكورة هنا، وفي كل موضعٍ في القرآن يبين أخوة كل من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع قومه الكافرين إنما يقصد بها أخوة النسب لا أخوة الدين؛ حيث قال نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه - مشفقًا عليهم، خائفًا على مصيرهم، منكرًا عليهم ما هم فيه من الافتراء -: هلَّا اتقيتم عقاب الله تعالى، فاجتنبتم ما يغضبه؟ فإني مؤتمن على رسالة الله تعالى ووحيه ومنهجه؛ فإن علمتم ذلك فاتقوا الله وأطيعوا أمري، باتباع شرع الله تعالى؛ فإني لا أبتغي الأجر في هذه الحياة الدنيا منكم، فأجري على الله تعالى وحده، وأُنكِرُ

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٥/ ٨٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه (٨/ ١٧٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق نفسه (٧/ ٥٦٢).

عليكم كيف تتركون كذلك، ظانِّين الأمان من الله تعالى في هذه الحياة الدنيا[1].

فكان ردُّ قومه باطلًا بأساليب مختلفة ذكرتها آيات القرآن الكريم، من بينها الاستفهام الإنكاري بحقِّ النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث يقول تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤ ءَأُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥﴾ [القمر: ٢٤، ٢٥]، وهو إنكار منهم لأن يتبعوا مثلهم في الجنس، وإنكار لأن تتبع الأمة رجلًا واحدًا، وإنكار لأن يُخَصَّ بالرسالة منفردًا من بين آل ثمود، والحال أن فيهم من هو أحسن جاهًا، وأكثر مالا[2].

*** رابعًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ورد ذلك في أكثر من ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤]، أي: واذكر يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه آزر مستفهمًا استفهامًا غرضه الإنكار: أتتخذ من دون الله تعالى أصنامًا ليست أهلًا للألوهية؟ وفي هذا الاستفهام الإنكاري تعريضٌ بسخافة العقول وسوء التفكير، ثم تدرَّج مع أبيه وقومه، بذكر أساليب دعوية، منها التأمل في الكون، ومحاولة التعرف إلى الله تعالى، فلمَّا أوصلهم إلى الطريق المستقيم لمعرفة الله تعالى، حاجَّه قومه، فقال لهم مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا غرضه التقريع: أتجادلونني وتغالبونني في إقامة الحجة على معرفة الله تعالى، والحال أن الله تعالى قد هداني؟ ولما توقفت عقولهم وعجزت حكاياتهم المختلفة عن التحدث، اجتهدوا في فعل المكائد لنبيهم؛ انتصارًا لأهوائهم[3].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٤/ ١٤٦)، حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٢٠/ ٢٨٧).

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٢٨/ ٢٢٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي (٥/ ١٠٨ - ١١٢).

ومن بين الأساليب التي استخدمها نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه أن كسَّر الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى، حينما كان القوم لاهين في أحد أفراحهم، ولما سألوه - بعد تحقيقاتهم - قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٦]، فإن الاستفهام الإنكاري من قبل نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه كان استثمارًا لفرصة حيرة عقولهم، وتخبط عقيدتهم، ومراجعة سريعة لعبادتهم، فكان هذا الاستفهام الإنكاري في مكانه الطبيعي؛ لعلَّ قلوبهم تتيقَّظ لتوحيد الله تعالى.

*** خامسًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله لوط** عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ورد ذلك في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]، حيث أنكر نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه عدم خوفهم من لقاء الله تعالى، بعد اقترافهم الذنوب، وأنكر عليهم على وجه الخصوص نكاح الذكور من بني آدم في أدبارهم دون النساء، فهذه جريمة بشعة ما سبقهم بها من العالمين(١)، وقد ورد في آية أخرى فسرت ما سبق أن لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكر عليهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء والتبجح بالمعصية بالمجاهرة بها، وقطع السبيل، فقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٣٨٨).

﴿قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩]، حيث إن نبي الله تعالى «أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك»[(١)].

* **سادسًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله شعيب** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث ورد ذلك في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]، فإن نبي الله شعيبًا أُرسِل إلى مدين الذين هم أصحاب الأيكة[(٢)]، فأنكر عليهم - بأسلوب الاستفهام - ما هم عليه من التطفيف في الميزان كيف لا يتقون الله تعالى بالخوف من عقابه، وحينما أخبره القوم أنه لولا عشيرته لرجموه أنكر عليهم خوفهم وحسابهم لعشيرته؛ إذ الأصل أن يخافوا من الله تعالى وحده، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود: ٩٢]، «فاستنكر ذلك عليهم وتعجّب منه وألزمهم مما لا مخلص لهم عنه ولا مخرج لهم منه بصورة الاستفهام، وفي هذا من قوة المحاجّة ووضوح المجادلة وإلقام الخصم الحجر ما لا يخفى»[(٣)].

* **سابعًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله إلياس** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث ورد ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٧٦).
(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه (٦/ ١٥٨).
(٣) فتح البيان، القنوجي (٦/ ٢٣٦).

في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٢٣ - ١٢٦]، حيث إن نبي الله إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنكر على قومه عدم تقوى الله تعالى والخوف من عقابه، فلمَّا كان الإنكار سببًا للإصغاء من قومه كرره مفصحًا بسببه بقوله: أتدعون صنمًا على أنه إله من دون الله تعالى الذي هو رب العالمين؟(١)

*** ثامنًا: الاستفهام الإنكاري في قصة نبي الله موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ،** حيث ورد ذلك في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى: فتارة يكون الإنكار من الله تعالى، وتارة يكون من فرعون، وتارة يكون من مؤمن آل فرعون، فأما ما ورد في كتاب الله تعالى من الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى عن فرعون وقومه، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، أي: واذكر يا محمد حين نادى ربُّك جَلَّ جَلَالُهُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائلًا: اذهب إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم قوم فرعون، ثم استفهم الله تعالى استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا، بقوله: ألا يخافون عقابي؟(٢)

وأما ما ورد من الاستفهام الإنكاري من جهة فرعون، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨، ١٩]، حيث إن فرعون ردَّ على دعوة موسى وأخيه هارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ له إلى الله تعالى، باستفهام إنكاري توبيخي، وذلك بقوله: ألم نربِّك في حجرنا ومنازلنا طفلًا، ومكثت على ذلك سنين؟ ومع ذلك قتلت

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦/ ٢٨٤).

(٢) ينظر: فتح البيان، القنوجي (٩/ ٣٦٥، ٣٦٦).

القبطي والحال أنك من الكافرين نعمتي[1]، وقد توالت الاستفهامات الإنكارية في حوار فرعون مع موسى، وتعالت تهديدات فرعون حتى وصل به الأمر إلى العجز، فاستدعى السحرة، ورغَّبهم بالقرب منه إن انتصروا عليه، فإذا بالسحرة يسجدون لله تعالى، ثم قال فرعون للسحرة الذين آمنوا برب العالمين - بعدما رأوا البينات -: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩]، و«أصل الفعل (آمن) دخلت عليه همزة التعدية، ثم دخلت عليها همزة الاستفهام الإنكاري، فاجتمع ثلاث همزات: مفتوحتان وساكنة، فأجمعوا على إبدال الثالثة الساكنة ألفًا، واختلفوا في الأولى والثانية: أما الأولى فأسقطها حفص[2]، وعليه فيجوز أن يكون الكلام خبرًا في المعنى، وأن يكون استفهامًا حذفت همزته، استغناء بقرينة الحال، وأبدلها قنبل[3] في الوصل واوًا مفتوحة»[4]، وهذا الإنكار من فرعون؛ لأجل التوبيخ الذي يحمل تهديدًا وتقريعًا[5].

فلما قرّر قوم فرعون أن يقتلوا نبي الله تعالى موسى وأخاه هارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/ ٢٣٨).

(٢) هو أبو عمر حفص بن سليمان الكوفي، صاحب القارئ الكبير عاصم، وتلميذه، وأحد راوييه، وابن زوجته، ولد سنة تسعين من الهجرة، ومات سنة ثمانين ومائة من الهجرة، وروى الحديث عن: علقمة بن مرثد، وثابت البناني، وأبي إسحاق السبيعي، وروى عنه: بكر بن بكار، وآدم بن أبي إياس، وأحمد بن عبده، وهشام بن عمار. (ينظر: معرفة القراء الكبار، الذهبي (ص٨٤)).

(٣) هو أبو عمرو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد المخزومي، مولاهم المكي، ولد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة، وجوَّد القراءة على أبي الحسن القواس، وأخذ القراءة عن البزي أيضًا، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، قرأ عليه خلق كثير، منهم أبو بكر بن مجاهد، وأبو الحسن بن شنبوذ، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين من الهجرة. (طبقات القراء الكبار، الذهبي (ص١٣٤)).

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٧/ ٦١٣).

(٥) ينظر: التفسير المظهري، المظهري (٧/ ٦٧).

ومن آمن معهما، إذ بمؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه يصيح بالقوم قائلًا: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨]، حيث يستفهم مؤمن آل فرعون استفهامًا إنكاريًّا، بقوله: كيف تقتلون رجلًا لأجل أنه قال ربي الله تعالى؟ والحال أنه قد جاء بالدلالات الواضحات، ونحن لا يضيرنا إن كان يكذب؛ لأنه عليه وبال كذبه، ولكن المشكلة إذا كان صادقًا، فإنه قد يصيب القومَ بعضٌ مما ذكره من الوعيد والعذاب[1]، ثم تدرج مؤمن آل فرعون، ببيان الاستدلالات العقلية والحسية الدالة على وجود الله تعالى وقدرته، وضرورة عبادته، ويستفهم استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا آخر[2]، بقوله: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر: ٤١]، وقيل الاستفهام هنا يفيد التعجب[3]، والنص حمَّال للغرضين.

*** تاسعًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب مجموعة من الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لأقوامهم،** حيث قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠]، «والاستفهام فيه للإنكار المضمن للتوبيخ والتقريع؛ أي: أفي وحدانيته سبحانه شك؟ وهي في غاية الوضوح والجلاء، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الأدلة الموصلة إلى ذلك، ومن ثَمَّ ذكرت الرسل بعد إنكارهم على الكفار ما يؤكد ذلك الإنكار من الشواهد الدالة

(١) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني (٥/ ١٦).

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (٢٥/ ٢٠٧).

(٣) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٣/ ٩٦).

على عدم الشك في وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووحدانيته»[1].

*** عاشرًا: الاستفهام الإنكاري في قصة مؤمن آل ياسين رحمه الله تعالى،** حيث ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٠ - ٢٣]، حيث إن هذا المؤمن الذي غار على دين الله تعالى، حينما وجد القوم قد كذَّبوا المرسلين وكفروا بالله تعالى، فسلك طريق الدعوة إلى الله تعالى؛ إذ لا تنفع السلبية التي تقتضي السرية في العبادة الفردية لله تعالى، فقال: يا قوم اتبعوا نهج المرسلين في الإيمان بالله تعالى، والتزام الصراط المستقيم، ودليل صدق هؤلاء الأنبياء أنهم لا يسألون أجرًا وأنهم قدوة في الهداية. ثم استفهم استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا غير مباشر، فقال: وما الذي يجعلني أعبد غير الله تعالى والحال أنكم جميعًا إليه مصيركم وعاقبتكم؟ فإنه يوبخهم من خلال ذكر المنقصة في ياء المتكلم؛ لما في ذلك من تلطف في الدعوة وعدم التنفير[2].

ونخلص إلى أن القرآن الكريم قد ذكر الاستفهام الإنكاري في حق الكفار سابقي عهد النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من خلال خطاب الله تعالى عنهم تارة، كما في خطابه عن قوم فرعون، ومن خلال خطاب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عنهم تارة كما في قصة الأنبياء نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط عليهم الصلاة والسلام، ومن خلال خطاب الكفار المكذبين المفترين على رسلهم، كما كان من القصص السابقة كلها، ومن خلال خطاب المؤمنين الغيورين على الله تعالى ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كمؤمن

(١) حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (١٤/ ٣٣٨).

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن، محمد ونعمان علوان (ص٤٥).

آل فرعون ومؤمن آل ياسين، وقد تبين من خلال جميع ما ذكر في هذا المطلب أن الاستفهام الإنكاري يكون – غالبًا – توبيخيًّا تقريعيًّا مباشرةً، إذا كان من الله تعالى ومن ثَمَّ من قبل رسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ والمؤمنين موجَّهًا في حق الكافرين، ويمكن أن يكون للتعجب كمؤمن آل فرعون، والاستفهام الإنكاري يكون توبيخيًّا تقريعيًّا غير مباشر إذا كان يتعلق بالتلطف مع المكذبين، كمؤمن آل ياسين.

المطلب الثاني

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة مشركي العرب

يركز هذا المطلب على بيان آيات - مما ورد في القرآن الكريم - ذكرت الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الله تعالى لمشركي العرب، بالأنواع الثلاثة، وهي:

*** أولًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى المباشر لمشركي العرب،** وقد ورد ذلك في أكثر من ست عشرة آية، معظمها مكي، وبعضها مدني.

ومن أمثلة الخطاب المباشر من الله تعالى، قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٤، ١٨٥]، فإن هذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي التعجبي من حال المكذبين المعرضين[(١)] غرضه دعوة المشركين إلى الرجوع إلى الفطرة السليمة، وهي التفكير المتجرد من أي غبش أو تأثير على العقل الصحيح المنسجم مع الفطرة السليمة، حيث يقول تعالى: «أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أن رسولَنا الذي أرسلناه إليهم، لا جنَّة به ولا خَبَل، وأن الذي دعاهم إليه هو الرأي الصحيح، والدين القويم، والحق المبين؟»[(٢)]، أولم ينظروا ويتدبروا ويعتبروا في ملك الله تعالى في جميع ما في السماوات والأرض؟ وفي خلق الله تعالى مما علمنا وما لم نعلم وضرورة العمل لما بعد الموت؟ فيأتي الاستفهام الإنكاري في هاتين الآيتين ثلاث مرات؛ ليختتمهما بأنه بعد كل الآيات الكونية والمتلوة بماذا سيؤمن المكذبون الجاحدون.

---

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري (١٠/ ٢٤٩).

(٢) جامع البيان، الطبري (١٣/ ٢٨٩).

ومن أمثلة ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: ٧، ٨]، فإن هذا الاستفهام إنكاري تعجبي، فيه إنكار على من يظن أن لهؤلاء المشركين عهدًا عند الله تعالى وعند رسوله، إلا من عاهده المؤمنون، ثم كرر الاستفهام الإنكاري التعجبي الاستبعادي، بتأكيد أن المشركين إن ينتصروا عليكم لا يرحموكم ولا يحترموا عهدًا معكم، ولذلك فإن الالتزام بالعهد مع المشركين يحتاج إلى استقامة منهم، وتكون استقامة متبادلة من المؤمنين، ولكن المشركين لم يستقيموا في العهد، فأعانوا حليفهم وهو بنو بكر، على حليف الرسول ﷺ وهم خزاعة؛ ولذا فإن الرسول ﷺ خصّص لحليفه الأخذ بالثأر حتى العصر من يوم فتح مكة[1].

وقد أنكر الله تعالى على كفار قريش أنهم ذكروا أنهم عند الله تعالى أفضل من النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم؛ لأنهم يشرفون على خدمة الحجاج وعمارة المسجد الحرام، فقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩]، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم،

(١) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٥/ ١٤)، مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (١١/ ٢٦٤)، قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده حسن.

فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآية[1].

وأنكر الله تعالى على مشركي العرب مقولتهم: إن لهم البنين ولله البنات، فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠]، حيث جوّزوا أن يكون لله تعالى ولد، وفكّروا في ذلك، ثم لم يرضوا حتى جعلوا له ما كرهوه لأنفسهم، فما زادوا في تمرّدهم إلا عتوّا، وفي طغيانهم إلا غلوّا، وعن قبول الحقّ إلا نفورًا[2].

وتوعَّد الله تعالى مشركي العرب وغيرهم، بالاستفهام الإنكاري التقريعي، حينما سألوا عن موعد العقاب[3]، بقوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الصافات: ١٧٦].

وأنكر الله تعالى عليهم عبادتهم للأصنام، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]، أي: إذا قيل لهؤلاء الذين حرَّموا من الحرث والأنعام أشياء: اتبعوا طريق شرع الله تعالى في التحليل والتحريم، كان ردّهم: إنَّ هذا هو ما وجدنا آباءنا عليه، فقال الله تعالى مُنكرًا عليهم: أيتبعون آباءهم وإنْ كانوا جهَّالا[4]؟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٣/ ١٤٩٩)، حديث رقم (١٨٧٩).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري (٢/ ٣٤٩).

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي (ص٩١٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق نفسه (ص١٤٠).

*** ثانيًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى غير المباشر لمشركي العرب،** وقد ورد ذلك في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦]، حيث يأمر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمشركين من هو رب السماوات ورب الأرض، وأن يجيبهم بقوله: هو الله، وإن إعادة فعل الأمر بالقول في ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الذي هو تفريع على الإقرار بأن الله رب السماوات والأرض؛ لقصد الاهتمام بذلك التفريع؛ لما فيه من الحجة الواضحة، فالاستفهام تقرير من جهة، وإنكار توبيخي وتسفيهي لرأيهم بناء على الإقرار المسلم من جهة أخرى، وفيه استدلال آخر على عدم أهلية أصنامهم للإلهية؛ فإن اتخاذهم أولياء من دونه معلوم لا يحتاج إلى الاستفهام عنه(١).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستفهم استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا تقريعيًّا استبعاديًّا في خطاب لمشركي العرب، وذلك بقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٦٤]، أي: بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده وتوحيده أن أعبد غير الله(٢)؟

*** ثالثًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب المشركين أنفسهم،** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٠]، أي: قال المشركون مستفهمين استفهامًا إنكاريًّا تكذيبيًّا: هل إذا غبنا فيها سواء أكان ذلك بالدفن أو بتفرق الأجزاء وتلاشيها داخل الأرض وتحللت

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ١١٣).

(٢) ينظر: فتح البيان، القنوجي (١٢/ ١٤٠).

جثثنا هل سنعود خلقًا جديدًا[1]؟ وقد وردت آية أخرى في نفس السياق، وهي قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات: ١٠].

❁ ملاحظة:

يلاحظ على الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى أنه يكون توبيخيًّا تقريعيًّا تعجبيًّا، أما الاستفهام الإنكاري في خطاب المشركين، فإنه يكون تكذيبيًّا استبعاديًّا نافيًا، والله أعلم.

❁❁❁

(١) ينظر: غرائب القرآن، النيسابوري (٥/ ٤٣٦).

المطلب الثالث

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكتاب

يركز هذا المطلب على بيان آيات مما وردت في القرآن الكريم ذكرت الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكتاب، بالأنواع الخمسة، وهي:

* **أولًا: الاستفهام الإنكاري التعجبي في خطاب نبي الله موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه من بني إسرائيل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١]، حيث أنكر على قومه استبدال الحلوى اللذيذة التي تشبه العسل وطير السمان بالبقل والخيار والفقوس والبصل ونحوه، حيث استبدلوا ما هو أخس بما هو أعظم(١).

* **ثانيًا: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة بني إسرائيل لداود** عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧]، حيث استفهم بنو إسرائيل استفهامًا إنكاريًّا يمتلئ تعنتًا: من أين يستحق أن يكون ملكًا علينا، والحال أننا أكثر منه مالًا ونحن أولى بهذا الملك(٢)؟

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي (ص١٣).

(٢) ينظر: البحر المديد، ابن عجيبة (١/ ٢٤٧).

*** ثالثًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى المباشر لأهل الكتاب في عهد النبي محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥]، أي: أتفعلون بعض الواجبات، وهو المفاداة وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فلم تتركوا المحرم، وهو القتال والإخراج والمعاونة؛ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ، وهو ذمّ عظيم وتحقير بالغ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا؛ فكان خزي قريظة القتل والسبي، وقد قتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم سبعمائة في يوم واحد، وخزي بني النضير بالإجلاء إلى أذرعات وأريحا(١).

وقد أنكر الله تعالى على أهل الكتاب أمرهم الناس بالخير والإيمان، وينسون أنفسهم، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]، حيث إن الله تعالى يستفهم استفهامًا إنكاريًّا تقريعيًّا توبيخيًّا: أتأمرون من خلال التوجيه والإرشاد الناس الذين يستفسرون منكم من الأتباع والمقلدين بجميع وجوه الخير والطاعات، والحال أنكم تنسون أنفسكم بحرمانها من هذا الخير، والمشكلة أنكم تتلون كتاب الله تعالى، أفلا تعقلون ما تفعلون(٢)؟!

وأنكر الله تعالى على الكفرة من أهل الكتاب بسبب عدم رجوعهم إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ

(١) ينظر: مراح لبيد، محمد التناري بلدا (١/ ٣١)، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير (٥/ ٨٨)، حديث رقم (٤٠٢٨).

(٢) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي (١/ ٢٢٨).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤]، أي: «أفلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ بالتوحيد والتنزيه عمّا نسبوه إليه من الاتحاد والحلول، فيرجعوا عن التمسك بالمتشابهات إلى القطعيات؟! فالاستفهام لإنكار الواقع واستبعاده، فيه تعجب من إصرارهم، ومدار الإنكار والتعجب عدم الانتهاء والتوبة معًا»(١).

رابعًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى غير المباشر بواسطة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠]، حيث إن الله تعالى يأمر النبي محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لأهل الكتاب مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا تكذيبيًّا: هل اتخذتم عند الله تعالى ميثاقًا على ادِّعائكم هذا القاضي بأنكم ستمسكم النار أيامًا قليلة بعدد؟! فإن كان عندكم عهد فلن يخلف الله عهده، أم أن الحق هو قولكم على الله بغير علم(٢)؟

وأمر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لأهل الكتاب الذين قالوا إننا نؤمن بما أنزل علينا: «إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم، فلماذا قتلتم أنبياء الله مِن قبل»(٣)؟! وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

وأمر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لأهل الكتاب الذين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا تكذيبيًّا توبيخيًّا: «فَلأيِّ شيء يعذِّبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عذّبكم؛ فالله لا يحب إلا من أطاعه، وقل

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٤/ ٢١٤).

(٢) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (ص١٢).

(٣) المرجع السابق نفسه (ص١٤).

لهم: بل أنتم خلقٌ مثلُ سائر بني آدم، إن أحسنتُم جوزيتم بإحسانكم خيرًا، وإن أَسَأْتُم جوزيتم بإساءتكم شرًّا، فالله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو مالك المُلك، يُصَرِّفه كما يشاء، وإليه المرجع، فيحكم بين عباده، ويجازي كلًّا بما يستحق»[(١)].

* **خامسًا: الاستفهام الإنكاري في خطاب أهل الكتاب بعضهم لبعض**، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦]، فقد كان بعضهم يعترف للمسلمين أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله تعالى للعرب فقط، فاستفهم أحبارهم استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا في مراجعاتهم الداخلية؛ لأن هذا الاعتراف على كل حال محرج لهم[(٢)].

(١) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (ص١١١).

(٢) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة (٦/ ١٨٣).

المطلب الرابع

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المنافقين

يركز هذا المطلب على بيان آيات مما ورد في القرآن الكريم ذكرت الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المنافقين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، حيث استفهم الله تعالى منكرًا على هؤلاء المنافقين وأشباههم عدم تدبرهم للقرآن، وحضهم على تأمل حكمه وأحكامه وهداياته فقال: هلَّا تدبَّروا القرآن الكريم بفهم حروفه وتطبيق حدوده وأحكامه؟ فلو كان هذا القرآن من عند أي مخلوق دون الله تعالى لوقع فيه التحريف والخلل والخطأ، ولما استحق هذا التكريم[(١)].

وأنكرت آية أخرى على المنافقين بأداة الاستفهام عدم تدبرهم كتاب الله تعالى، وأن على قلوبهم أقفالًا، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، «فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن، بأداة الإنكار التي هي الهمزة، وبيَّن أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير، ولا لفهم قرآن»[(٢)].

وأمر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمنافقين الذين يستهزئون بدين الله تعالى مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا غرضه التوبيخ والتقريع، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، «فأي ضلال أشدّ من هذا؟! وأي كفر وجحود أشد؟! والاستفهام هنا للاستنكار، إنكار الواقع أي التوبيخ على ما فعلوا»[(٣)].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي (٣/ ٢٣٤).

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي (٧/ ٢٥٦).

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٦/ ٣٣٦٠).

المبحث الثالث

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الإيمان

يركز هذا المبحث على ذكر الاستفهام الإنكاري وأغراضه في الآيات الواردة في مخاطبة الله تعالى للملائكة، وفي مخاطبة الله تعالى للأنبياء، وفي مخاطبة الله تعالى للمؤمنين.

وقد مثَّل هذا المبحث توضيحًا عمليًّا لذلك، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الملائكة

ويقصد بهذا الاستفهام الإنكاري ما غرضه النفي؛ حيث يستفهم الله تعالى منهم استفهامًا لا يريد منه استعلامًا ولا جوابًا، وإنما ينفي ما جال في خاطرهم مما قصدوه من التعظيم له جَلَّجَلَالُهُ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: ٣٣]، حيث إن الله تعالى علَّم أبانا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أسماء الخلق كلهم، ثم حشر الدواب كلها، والسباع والطير، وما خلق في الأرض، ثم قال للملائكة: أخبروني بأسماء هؤلاء إن تدَّعون الصدق في أقوالكم وأفعالكم وأحوالكم. ولا شكَّ أن هذا الأسلوب الشرطي فيه إلهاب وتهييج؛ لأنهم صادقون بطبيعتهم، فعندها نزَّهوا الله تعالى عن كل نقص، وأخبروا الله تعالى بعجزهم عن الجواب؛ فلمَّا طلب من أبينا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هذا الطلب أجابه، فاستفهم الله تعالى من الملائكة استفهامًا إنكاريًّا؛ لغرض النفي، بقوله: ألم أقل لكم إني أعلم منكم

بالخلق؟ وأن الذي خفي عليكم من الحكمة وما ظهر فأنا أعلم به منكم[1].

وقد وردت آية أخرى في سياق الحديث عن الملائكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠]، حيث بيَّنت الاستفهام الإنكاري الذي يقصد به التقريع للمشركين والتوبيخ لهم، وذلك بالقول: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله تعالى[2]؟

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (١/ ١٣٢).

(٢) ينظر: المختصر في التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية (ص٤٣٣).

المطلب الثاني

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الأنبياء والمرسلين

ويقصد بالاستفهام الإنكاري في مخاطبة الأنبياء والمرسلين ما كان من الله تعالى في مخاطبتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فإن نبي الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلب من الله تعالى أن يريه بالعين الباصرة كيف يتم إحياء الموتى، فاستفهم الله تعالى منه استفهامًا إنكاريًّا تعجبيًّا بقوله: ألستَ آمنتَ بذلك؟! فأجابه: بلى، ولكني أريد أن يطمئن قلبي منتقلًا من علم اليقين إلى عينه وحقيقته، أي: بالمعاينة بعد الإيمان بالغيب(١).

وقد وردت آية أخرى بيَّنت الاستفهام الإنكاري من قِبَل الله تعالى في خطابه لأبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجته، حينما أكلا من الشجرة التي نُهِيا عنها، وذلك بقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢]، أي: فحطَّهما عن درجتهما ساعة وقوع المعصية؛ حيث جرَّأهما على الأكل، فلمَّا ذاقا من ثمر الشجرة بدأت تتساقط الثياب عن الجسم، وانكشفت العورة، وجعلا يرقعان الورق بعضه على بعض، وفي هذه الأثناء ناداهما الله تعالى مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا تقريعيًّا توبيخيًّا بقوله: ألم أنهكما عن الاقتراب من تلك الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو واضح العداوة(٢)؟

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي (ص١٨٦)، تفسير الراغب الأصفهاني (ص٥٤٦).

(٢) ينظر: إيجاز البيان، أبو القاسم النيسابوري (١/ ٣٢٥).

المطلب الثالث

الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المؤمنين

ويقصد بالاستفهام الإنكاري في مخاطبة المؤمنين ما كان من الله تعالى بالخطاب المباشر أو غير المباشر، ويكون غرضه التقريع، والتعجب، والنفي؛ ومن أمثلة الاستفهام الإنكاري التقريعي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨]، حيث ينادي الله تعالى المؤمنين من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا تقريعيًّا يحمل عتابًا، بقوله: أيُّ شيء يمنعكم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، ويجعلكم تتثاقلون عنه، ولا تنهضون من أرضكم؟ أم أنكم رضيتم بخفض العيش وزهرة الحياة الدنيا ودعتها ونعيمها بدلًا من الآخرة؟، فإن كنتم كذلك، فاعلموا أن المتاع في الحياة الدنيا في مقياس الآخرة حقير(١).

وقد وردت آية أخرى في سياق الاستفهام الإنكاري التقريعي في خطاب المؤمنين المصابين من غزوة أحد، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي: «أحين أصابكم من المشركين نصفُ ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزِعتم، وقلتم: من أين أصابنا هذا؟ وقد تقدم الوعدُ بالنصر على توجيه الإنكارِ والتقريعِ إلى صدور ذلك القولِ عنهم في ذلك الوقتِ خاصة، بناءً على عدم كونِه مَظِنةً له داعيًا إليه، بل على كونه داعيًا إلى عدمه؛ فإنَّ كونَ مصيبةِ عدوِّهم ضِعْفَ مصيبتِهم، مما يُهوِّن الخطْبَ ويورث السَّلْوةَ، أو أفعلتم ما فعلتم

(١) ينظر: فتح البيان، القنوجي (٥/ ٣٠١، ٣٠٢).

ولمَّا أصابتكم غائلته أنى هذا؟ على توجيه الإنكارِ إلى استبعادهم الحادثةَ مع مباشرتهم لسببها»[1].

ومن أمثلة الاستفهام الإنكاري التعجبي النافي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي: قل يا أيها الرسول مستفهمًا استفهامًا إنكاريًّا عليهم: من الذي حرَّم زينة الله التي أخرجها لعباده، من اللباس والطيبات المستلذَّات من الرزق؟! قل هي لعموم المؤمنين في الحياة الدنيا بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم خاصة بهم يوم القيامة، كذلك نُبيِّن الآيات ومثل ذلك التفصيل لقوم يتدبرون؛ فإنهم المنتفعون بها[2].

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ١٠٩).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي (ص١٩٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من خلال هذه الدراسة في البحث المسمى (الاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم) ظهرت أهم النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولًا: أهم النتائج:

١) **مصطلح الاستفهام الإنكاري** يُعرَف من خلال المعرفة الشاملة التأصيلية لعلم بلاغة القرآن الكريم، لا سيما علم المعاني.

٢) **لم تفِ كتب علوم القرآن المشهورة بتفاصيل هذا العلم من ناحيتيه: النظرية، والتطبيقية،** وكذلك لم يكن موضوع الاستفهام الإنكاري مذكورًا بالحد الكافي في كتب اللغة العربية، من جهة الدراسة القرآنية الشرعية.

٣) **الاستفهام الإنكاري ذُكِر في العهدين: المكي، والمدني،** غير أن لكل عهدٍ ميزاته الخاصة به، من جهة المخاطَبين، ومن جهة أغراض الاستفهام الإنكاري، ومن جهة طبيعة المعالجة.

٤) **الاستفهام الإنكاري يكون – غالبًا – توبيخيًّا تقريعيًّا مباشرةً، إذا كان من الله تعالى؛** ومن ثَمَّ من قِبَل رسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ والمؤمنين موجَّهًا في حق الكافرين، ويمكن أن يكون للتعجب كمؤمن آل فرعون، والاستفهام الإنكاري يكون توبيخيًّا تقريعيًّا غير مباشر إذا كان يتعلق بالتلطف مع المكذبين، كمؤمن آل ياسين.

٥) **يلاحظ على الاستفهام الإنكاري في خطاب الله تعالى أن يكون توبيخيًّا تقريعيًّا تعجبيًّا**، أما الاستفهام الإنكاري في خطاب المشركين، فإنه يكون تكذيبيًّا استبعاديًّا نافيًا، والله أعلم.

٦) **الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكفر من الأمم السابقة** أخذ مساحة أكبر من أهل الكفر جميعًا في عهد النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما في ذلك من تأثير في نفوس قوم قريش وأهل الكتاب والمنافقين، أن الله تعالى أنكر على الباطل في كل الأمم السابقة، ولم يقتصر ذلك عليهم.

٧) **الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الإيمان** تمثل في خطاب مباشر أو غير مباشر من قبل الله تعالى للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمرسلين والمؤمنين.

❁ ثانيًا: أهم التوصيات:

١) **الوصية لجميع المعنيين أن يقوموا بدورهم في التدبر في القرآن الكريم**، والتفتيش عن أسراره التي تغرس في قلب المسلم حب القرآن الكريم وملازمته.

٢) **الأمل من الباحثين أن يعطوا علم البلاغة في القرآن الكريم أهمية**، وألَّا يقتصر هذا الدور على أهل العربية، فإن عدد الباحثين سيكون إذن قليلًا.

٣) **رسالة إلى عمادات البحث العلمي في الجامعات**، وكذلك مراكز الأبحاث والدراسات القرآنية والشرعية، أن يجتهدوا في إنشاء موسوعات لها علاقة بعلوم دقيقة، كالاستفهام الإنكاري في ضوء القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. «**الإتقان في علوم القرآن**». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. «**أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**». الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (المتوفى: ٢٥٠هـ). تحقيق: رشدي الصالح ملحس. (د. ط). بيروت: دار الأندلس للنشر، (د. ت).

٣. «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**». العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٤. «**أسرار البلاغة**». عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ). قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر. (د. ط). القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، (د. ت).

٥. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ). (د. ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٦. «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**». البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط: ٢، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٧. «**إيجاز البيان عن معاني القرآن**». النيسابوري، نجم الدين أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ). تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي. ط: ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٥هـ.

٨. «**الإيضاح في علوم البلاغة**». الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي القزويني الشافعي (المتوفى: ٧٣٩هـ). تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: ٣، بيروت: دار الجيل، (د. ت).

٩. «**بحر العلوم**». السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ). (د. ط) (د. ن) (د. ت).

١٠. «**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**». ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ). تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، (د. ط) القاهرة: (د. ن)، ١٤١٩هـ.

١١. «**البحر المحيط في التفسير**». أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٢. «**البرهان في علوم القرآن**». الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه

(ثم صوَّرته دار المعرفة وبنفس ترقيم الصفحات)، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٣. «**البلاغة العربية**». حَبَنَّكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ). ط: ١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٤. «**البلاغة ٢ المعاني**». جامعة المدينة العالمية، كود المادة: LARB4103، المرحلة: بكالوريوس، (د. ط) (د. ت).

١٥. «**تاج العروس من جواهر القاموس**». الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط) (د. ت).

١٦. «**التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**». الطاهر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

١٧. «**التعريفات**». الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨. «**التعريفات الفقهية**». البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، ط: ١، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩. «**التَّفْسِيرُ البَسِيْط**». الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ). تحقيق: أصل تحقيقه في

(١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط: ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠ هـ.

٢٠. «**تفسير الجلالين**» المحلِّي، جلال الدين محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٦٤هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ). ط: ١، القاهرة: دار الحديث، (د. ت).

٢١. «**تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**». الهرري، الشيخ العلّامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: ١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. «**التفسير الحديث**» [**مرتّب حسب ترتيب النزول**]. دروزة، محمد عزت، (د. ط)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ.

٢٣. «**تفسير الراغب الأصفهاني**». الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ). جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة. تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط: ١، جامعة طنطا: كلية الآداب، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢٤. «**تفسير القرآن**». السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٥. «**تفسير القرآن العزيز**». ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن

عيسى بن محمد المري الإلبيري المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ). تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط: ١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦. «**تفسير القرآن العظيم**». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧. «**التفسير المظهري**». المظهري، محمد ثناء الله. تحقيق: غلام نبي التونسي، (د. ط)، الباكستان: مكتبة الرشدية، ١٤١٢هـ.

٢٨. «**التفسير الميسَّر**». نخبة من أساتذة التفسير، ط: ٢، مزيدة ومنقحة، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٩. «**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**». محمد سيد طنطاوي. ط: ١، الفجالة - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

٣٠. «**التوقيف على مهمات التعاريف**». عبد الرؤوف المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ). ط: ١، القاهرة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣١. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٢. «جامع البيان عن تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٣٣. «الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)». القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٤. «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)». البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٥. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ). تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٣٦. «دراسات في البلاغة العربية (من بلاغة القرآن المعاني البيان البديع)»، الدكتور محمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان، ط: ٢، الدار العربية للنشر والتوزيع، (د. ت).

٣٧. «دراسات لأسلوب القرآن الكريم». عضيمة، محمد عبد الخالق (ت ١٤٠٤ هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، (د. ط)، القاهرة: دار الحديث، (د. ت).

٣٨. «دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)». الأحمد نكري،

القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩. «**زاد المسير في علم التفسير**». أبو الفرج الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٤٠. «**زهرة التفاسير**». أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (د. ط)، دار الفكر العربي، (د. ت).

٤١. «**علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)**». الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، ط: ١، طرابلس - لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣م.

٤٢. «**علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)**». المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ). (د. ن) (د. ط) (د. ت).

٤٣. «**علم المعاني**». عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ). ط: ١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٤. «**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**». نظام الدين النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ). تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٤٥. «**فتحُ البيان في مقاصد القرآن**». القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدَّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،

(د. ط)، صَيدا – بيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤٦. «**فتح القدير**». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط: ١، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.

٤٧. «**الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**». الشيخ علوان النخجواني، نعمة الله بن محمود (المتوفى: ٩٢٠هـ). (د. ط)، الغورية، مصر: دار ركابي للنشر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٤٨. «**القاموس المحيط**». الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٩. «**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**». التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ). تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم. تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط: ١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

٥٠. «**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**». الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: ٥٣٨هـ). ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٥١. «**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**». الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٢. «**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**». الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ). تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د. ت).

٥٣. «**اللباب في علوم الكتاب**». ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٥٤. «**لسان العرب**». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي. ط: ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٥٥. «**لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**». القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ). تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط ٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).

٥٦. «**محاسن التأويل**». القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٥٧. «**المحكم والمحيط الأعظم**». بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ]. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٨. «**المختصر في التفسير (مختصرات محررة ١)**». إشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، الإصدار الثالث عشر، ط ٢، أوقاف نورة الملاحي، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٥٩. «**مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**». الجاوي، محمد بن عمر نووي البنتني إقليمًا التناري بلدًا (المتوفى: ١٣١٦هـ). تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

٦٠. «**المستدرك على الصحيحين**». الحاكم ابن البيع، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ - ١٩٩٠.

٦١. «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**». الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: ١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٢. «**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٦٣. «مشارق الأنوار على صحاح الآثار». ابن عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ). (د. ط)، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د. ت).

٦٤. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ). (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية، (د. ت).

٦٥. «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د. ت)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٦. «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار». الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ). ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٧. «مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)». الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٦٨. «من بلاغة القرآن». أحمد بدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ). (د. ط)، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

٦٩. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ). (د. ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).

٧٠. «**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**». مكي بن أبي طالب القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ). تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط ١، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٧١. «**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط: ١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٥ هـ.

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
■ ملخص البحث	٨١
■ المقدمة	٨٢
❁ المبحث الأول: مفهوم الاستفهام الإنكاري	٨٧
■ المطلب الأول: تعريف الاستفهام الإنكاري لغةً واصطلاحًا	٨٧
■ المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري في كتب علوم القرآن واللغة العربية	٩٢
■ المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري في الاستعمال القرآني	٩٥
❁ المبحث الثاني: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكفر	١٠٢
■ المطلب الأول: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الكفار من الأمم الغابرة	١٠٢
■ المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة مشركي العرب	١١٤
■ المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الكتاب	١١٩
■ المطلب الرابع: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المنافقين	١٢٣
❁ المبحث الثالث: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة أهل الإيمان	١٢٤
■ المطلب الأول: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الملائكة	١٢٤
■ المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة الأنبياء والمرسلين	١٢٦
■ المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري في مخاطبة المؤمنين	١٢٧
❁ الخاتمة	١٢٩
❁ المصادر والمراجع	١٣١